

إنتاج الأفكار

الأفكار مثل عسل النحل الذي لا يتكون إلا بعد رحلة طويلة يقوم بها النحل بين الحقول والبساتين لامتصاص الرحيق

من الزهور ، ثم يعود به إلى الخلية ، وقد تحول في أحشائه إلى ذلك المنتج الرائع ، الذي جعل منه الله تعالى شفاء للناس . وهذا يعنى أن الفكرة الجديدة لا تنشأ بالصدفة أو من تلقاء نفسها كما يتصور معظم الناس ، لأنها تتطلب من المفكر بذل الجهد في القراءة والإطلاع وإجراء التجارب وسؤال الخبراء والاستفسار المتكرر وتقليب الموضوع الذي يشغل باله على كل الوجود . وفى خلال ذلك يتحمل الكثير من الإرهاق ، والمسهر ، وقد يرى في ذومه - إذا نام - الأحلام المزعجة والكوابيس ، ثم فجأة تأتي إلى ذهنه

(الفكرة

)

مثل إشعاع الضوء التي تغمر المكان ، فيرى الأمور بوضوح كامل ، وتبدو عناصر الحل متماسكة بعضها مع الآخر ، ولما يكون هناك مجال للخلط أو الماضطراب

).

وعندئذ يصبح على المفكر أن يصوغ فكرته في عبارات قليلة وبسيطة وواضحة

).

ولما يبدأ في الإحساس بالضيق إما عندما يواجه المجتمع بفكرته فيجده رافضاً ، أو مبالغياً ، أو حتى مهاجماً !

ليس كل مفكر ولما كل باحث بقادر على إنتاج الأفكار . فهناك الكثيرون جداً ممن يتعاملون يومياً مع أفكار الآخرين ، ويحسنون أحياناً عرضها ، ولكنهم يعجزون عن الماتيان بفكرة واحدة جديدة . وهؤلاء يشبهون (النمل) الذي تنحصر مهمته في البحث عن الطعام وتكديسه في الجحور لاستخدامه في الوقت المناسب . وقد أشار علماء المنهج إلى أن البحث العلمى فى حاجة مستمرة لكلا الطائفتين :

طائفة النحل التي تنتج الأفكار ، وطائفة النمل التي تجمعها وتكدسها .. ومن الواضح أن الطائفة الأولى هي التي يتوقف عليها التطور العلمى الذى عرفته الإنسانية ، وكان له تأثير ملموس على حياة الناس . وليست الاختراعات والمبتكرات سوى أفكار جديدة جاء بها عدد قليل من الأفراد، الذين منحهم الله تعالى تلك القدرة على إنتاجها

.

لكن تاريخ الأفكار يثبت أن بعض الأفكار الصحيحة قد تطرح في عصر من العصور ، ولما تجد من أهله الاستجابة اللازمة ، فتتروى فى أحد الأركان حتى يأتى أهل عصر آخر فيستخرجونها ، ويطبّقونها . وقد حدث نفس الشئ بالنسبة لفكرة المنهج التجريبي الذي طرحه روجر بيكون فى القرن الثالث عشر ، ولم ير النور وبالتالى النجاح إلا على يد معاصره البريطانى روجر بيكون فى القرن السادس عشر

.

وعندنا فى مصر ، أفكار جديدة كثيرة ، طرحت خلال القرن الماضى، القرن العشرين ، و لكن الناس أسروها برفضها والوقوف فى وجه

أصحابها ، فما كان منهم إلّا أن سكتوا وتراجعوا ، وماتوا حزناً وغماً ، ثم ما لبثت هذه الأفكار أن تم إحيائها بعد ذلك ، بل وجرى تكريم أصحابها وإعادة الاعتبار لهم . ومن ذلك فكرة تحرير المرأة التي حورب من أجلها قاسم أمين ، ولم يكد ينتهي القرن حتى أصبحت موضع احترام ، ولم يعد أحد يجرؤ على محاربتها !

والخلاصة أن المجتمعات الذكية هي وحدها التي تدرك قيمة الأفكار الجديدة ، وتسرع باحتضانها ، في حين أن المجتمعات الخاملة هي التي تدوس على ما يظهر فيها من أفكار ولذلك فإنها تظل ضعيفة وفقيرة ومتخلفة

الأفكار مثل عسل النحل الذي لا يتكون إلّا بعد رحلة طويلة يقوم بها النحل بين الحقول والبساتين لامتصاص الرحيق من الزهور ، ثم يعود به إلى الخلية ، وقد تحول في أحشائه إلى ذلك المنتج الرائع ، الذي جعل منه الله تعالى شفاء للناس . وهذا يعني أن الفكرة الجديدة لا تنشأ بالصدفة أو من تلقاء نفسها كما يتصور معظم الناس ، لأنها تتطلب من المفكر بذل الجهد في القراءة والإطلاع وإجراء التجارب وسؤال الخبراء والاستفسار المتكرر وتقليب الموضوع الذي يشغل باله على كل الوجود . وفي خلال ذلك يتحمل الكثير من الإرهاق ، والسهر ، وقد يرى في ذومه - إذا نام - الأحلام المزعجة والكوابيس ، ثم فجأة تأتي إلى ذهنه

(الفكرة

)

مثل إشعاع الضوء التي تغمر المكان ، فيرى الأمور بوضوح كامل ، وتبدو عناصر الحل متماسكة بعضها مع الآخر ، ولما يكون هناك مجال للخلط أو الاضطراب

).

وعندئذ يصبح على المفكر أن يصوغ فكرته في عبارات قليلة وبسيطة وواضحة

).

ولما يبدأ في الإحساس بالضيق إلّا عندما يواجه المجتمع بفكرته فيجده رافضاً ، أو مبالغياً ، أو حتى مهاجماً !

ليس كل مفكر ولما كل باحث بقادر على إنتاج الأفكار . فهناك الكثيرون جداً ممن يتعاملون يومياً مع أفكار الآخرين ، ويحسنون أحياناً عرضها ، ولكنهم يعجزون عن الماتيان بفكرة واحدة جديدة . وهؤلاء يشبهون (النمل) الذي تنحصر مهمته في البحث عن الطعام وتكديسه في الجحور لاستخدامه في الوقت المناسب . وقد أشار علماء المنهج إلى أن البحث العلمي في حاجة مستمرة لكل الطائفتين :

طائفة النحل التي تنتج الأفكار ، وطائفة النمل التي تجمعها وتكدسها .. ومن الواضح أن الطائفة الأولى هي التي يتوقف عليها التطور العلمي الذي عرفته الإنسانية ، وكان له تأثير ملموس على حياة الناس . وليست الاختراعات والابتكارات سوى أفكار جديدة جاء بها عدد قليل من الأفراد ، الذين منحهم الله تعالى تلك القدرة على إنتاجها

.

لكن تاريخ الأفكار يثبت أن بعض الأفكار الصحيحة قد تطرح في عصر من العصور ، ولما تجد من أهلها الاستجابة اللازمة ، فتزوي في أحد الأركان حتى يأتي أهل عصر آخر فيستخرجونها ، ويطبّقونها . وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لفكرة المنهج التجريبي الذي طرحه روجر بيكون في القرن الثالث عشر ، ولم ير النور وبالتالي النجاح إلّا على يد معاصره البريطاني روجر بيكون في القرن السادس عشر

.

وعندنا في مصر ، أفكار جديدة كثيرة ، طرحت خلال القرن الماضي ، القرن العشرين ، و لكن الناس أسرعوا برفضها والوقوف في وجه أصحابها ، فما كان منهم إلّا أن سكتوا وتراجعوا ، وماتوا حزناً وغماً ، ثم ما لبثت هذه الأفكار أن تم إحيائها بعد ذلك ، بل وجرى تكريم أصحابها وإعادة الاعتبار لهم . ومن ذلك فكرة تحرير المرأة التي حورب من أجلها قاسم أمين ، ولم يكد ينتهي القرن حتى أصبحت

موضع احترام، ولم يعد أحد يجرؤ على محاربتها !

والخلاصة أن المجتمعات الذكية هي وحدها التي تدرك قيمة الأفكار الجديدة ، وتسرع باحتضانها ، في حين أن المجتمعات الخاملة هي التي تدوس على ما يظهر فيها من أفكار ولذلك فإنها تظل ضعيفة وفقيرة ومتخلفة